بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 1 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:04\10\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

بحمد له وتوفيقه اكتمل الحديث في سورة لقمان، وقع الاختيار على سورة الإنسان، والتي ترتبط بالقضية المذهبية المعروفة لدينا. وسنبحث فيها بشكل تفصيلي.

باعتبار أن هذا البحث التفسيري ليس بحثاً تجزيئياً من أول القرآن إلى آخره، فلابد أن نمرر بعض البحوث القرآنية في أثناء الحديث عن بعض السور، منها:

البحث الأول: لفظة السورة.

علماء التفسير احتملوا في تسمية المقطع المستقل من القرآن الكريم بالسورة، حيث وزعت السور إلى مئة وأربعة عشر سورة، إلى احتمالين:

الاحتمال الأول: هي السؤرة. وللتخفيف شاع التعبير بالسورة، وهذا شائع عند العرب عندما يكثر استعمال كلمة تخفف للتسهيل على المتكلم، فالسؤرة فيها نوع من الثقل، فخففوا على المتكلم فصارت سورة.

السؤر عبارة عن البقية المتبقية من الشيء، فيتوجه سؤال: ما هو وجه تسمية المقطع قرآني بالسؤرة، وتخفيفاً صارت سورة؟

باعتبار أن هذا المقطع اقتطع من القرآن الكريم، كما يقتطع شيء من الماء من الكأس، فكما هناك نسميه سؤر، هنا أيضاً نسميه بالسؤر.

واستشهدوا له بقول أعشى بني ثعلبة الذي يصف امرأة فارقته، فأبقت في قلبه من وجدها بقية، فقال:

فبانت وقد اسأرت في الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيرا

بانت: ذهبت بعيداً. وقد اسأرت في الفؤاد: أبقت في قلبه بقية، فما زال يتذكرها، وما زال مشتاقاً إليها.

وهذا الاحتمال في غاية البعد، ولا يأتي إلى ذهن العرف. ومجرد أن السؤر يطلق على البقية في كلام أعشى بني ثعلب لا يدل على أن السورة في القرآن بهذا المعنى.

الاحتمال الثاني: هي السور.

وهو الذي ذهب إليه مشهور علماء التفسير، أن هذه السورة من السور، كسور المدينة. غاية الأمر أن سور المدينة يجمع على أسوار، والسورة هنا تجمع على سور، فاستعيرت هذه الكلمة من سور المدينة؛ باعتبار أن سور المدينة الذي يحيط بالمدينة يكون في العادة مرتفعاً عنها؛ لأن السور لأجل المنع من دخول العدو؛ فلابد أن يكون مرتفعاً.

فاستعيرت هذه اللفظة من السور، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يدل عليه السور من الارتفاع، فأطلق على هذا المقطع القرآني. فكل سورة من سور القرآن تدل على الارتفاع والسمو.

واستدلوا له بقول نابغة الذبياني في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها النعمان ابن المنذر، الذي جاء فيها:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذب

هذا البيت من أجمل أبيات هذه القصيدة، ومحل الشاهد في بيت آخر، وهو:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

الله أعطاك سورة: أعطاك شأناً وارتفاعاً.

والنابغة الذبياني قبل نزول القرآن الكريم، والنعمان بن المنذر[1] قبل بعثة النبي ﷺ. فإذاً السورة تدل على الارتفاع والسمو والشرف.

[1] فكان زعيماً على المناذرة، وكانت في العراق الحرب الشرسة بين المناذرة والغساسنة، المناذرة كانوا يتبعون المملكة الفارسية، والغساسنة كانوا يتبعون المملكة الرومانية، وكان النزاع بينهم قائماً بشكل دائم.

لم أجد احتمالاً ثالثاً مغايراً لهذين الاحتمالين، ولم أجد في الروايات والنصوص الشرعية ما يدل على وجه تسمية مقطع قرآني بالسورة.

لكن الذي يقرب إلى الذهن هو أمر مغاير لهذين الاحتمالين. إذ نلتزم مع أرباب القول الثاني أن السورة مأخوذة من السور لا من السؤر. ولكن في الاستعارة والمجاز لك أن تأخذ خصوصية في المستعار منه تكون هي وجه التسمية.

السور يكون مرتفعاً، لكن العلامة الفارقة والأساسية للسور هو أنه يحيط بالمسور، ويميزه عن الغير. فالسور ليس فقط للمدينة، فالأرض تسور لكي يميزها عن الأراضي الأخرى.

سور القرآن متميزة بدءاً وانتهاء، بدءاً تبتدأ بالبسملة وانتهاء تنتهي عند بدء بسملة أخرى. وإذا رجعنا إلى القرآن نفسه، فكلمة السورة استعملت في القرآن الكريم في ثمان آيات، أكثرها وارد في سورة التوبة. بعض هذه الاستعمالات ناظرة إلى السورة الكاملة كما في مطلع سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها﴾[2] وفرضناها: ناظر إلى السورة الكاملة التي لها حدودها ومعالمها ومميزاتها.

لكن في بعض الاستعمالات القرآنية استعملت السورة وأطلقت على مقطع متقارب المعنى، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾[3] لا توجد سورة في القرآن الكريم فقط آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله. فالسورة ناظرة إلى مجموعة آيات تحدد مطلباً واضح المعالم، مجموعة آيات تدعو إلى الإيمان والجهاد، سواء كانت سورة كاملة أو مقطع من سورة كاملة.

فهذا الإطلاق يشير إلى شيء واضح المعالم. بناء على ذلك أن الأقرب تكون هذه الاستعارة بلحاظ تلك الخصوصية في السور التي تدل على تميزه عن غيره وإحاطته بشيء واضح المعالم.

البحث الثاني: حقيقة تسمية السور القرآنية

---

[2] النور 1
[3] التوبة 86

أسماء سورة الإنسان: السورة التي نبحث عنها لها عدة أسماء: الإنسان، الدهر، هل أتى. كثير في الروايات وأشعار العرب وبعض التعابير التاريخية يعبرون بسورة هل أتى. نعم المنضبط في المصاحف الشريفة سورة الإنسان.

مع قطع النظر عن هذه السورة، هناك سؤال يطرح: ما هي حقيقة تسمية السور القرآنية؟ هل هذه التسمية توقيفية أو توفيقية أو شيء آخر؟

الرأي الأول: توقيفية. في علوم القرآن، خصوصاً عند العامة، المشهور منهم على أن تسمية السور القرآنية توقيفية. لكن ينبغي أن نلتفت أنه يبعد أن يكون المراد أن هذه التسمية نزل بها الوحي، وذلك:

أولاً: لا يوجد عندنا في النصوص ولا عندهم في الروايات أن كل سورة من سور القرآن الكريم النبي ﷺ أطلق عليها اسماً، فلابد أن يكون التوقيف أعم من أن يرد ذلك في كلام النبي الأعظم ﷺ أو في كلام الصحابة.

ثانياً: بناء على التوقيفية لابد لك أن تقتصر في التسمية على ما ورد، وليس لك أن تسمي اسماً آخر.

الرأي الثاني: توافقية وليست توقيفية؛ لخصوصية ما في كل سورة بني على تسميتها بهذا الاسم من دون أن يكون هناك أي توقيف وإذن من قبل الشارع المقدس.

لا شك أن الرأي الأول لا دليل على إثباته، بل حتى مصاحف الصحابة -المصاحف التي كتبت في زمن الصحابة- لا يوجد أسماء فيها لكل السور، هذا من جهة. من جهة أخرى الذي يقرب المطلب نجد أن بعض السور لها عدة أسماء من قبيل الفاتحة: الفاتحة والحمد السبع المثاني كما ورد في القرآن الكريم، وورود هذا الاسم في القرآن الكريم لم يمنع من أن أطلق عليها أسماء أخرى. وكذا سورة التوبة: التوبة والفاضحة والكاشفة وما شابه ذلك من الاستنتاجات التي أخذت من بعض مقاطعا في فضح المنافقين.

إذاً ما نعتقده في تسمية السور أن التسمية إنما هي لمحض التمييز بين السور في مقام التعبير عنها. ولذا في بعض الروايات عن النبي ﷺ: السورة التي فيها البقرة. فحتى هذه الأسماء التي وردت على لسان المعصومين الغرض منها التمييز بين هذه السور، لا أن هذه الأسماء توقيفية.